

من أخذ النظرة التي تركتها أمام الباب؟

واديح استعادة



وديع سعادة

**من أخذ النظرة التي
تركها أمام الباب؟**



2011

أبَابِيل للنشر

(السلسلة الشعريّة)

www.ebabil.net

البريد الإلكتروني :

info@ebabil.net

سورية - حلب - ص . ب : 11211

ماء

ماءٌ كثير

يدفق في سراييني

ولا مركب.

في قلبي بحر

وجمهـور من الغرقى.

بقليل من الحطب

بقليل من الدخان

بقليل من الحطب

أحيي الآن ذكرى الشجر

ذكرى غابات كثيرة نبتت في ذاك الماضي في رأسي

وكنتُ طيورها

وحطَّابها

والمشتعلين في مواقدها.

شجرٌ أحاول الآن بقليل من الحطب إحياء ذكراه

ذكرى طير ملون حطَّ على غصن أمامي وطار

ذكرى سُحلية على صخرة ليتني استلقيتُ قربها قليلاً

ذكرى ثمار حسبتها أفئدةً

وأفئدةٍ حسبتها ثماراً وقطفْتُها

وإلى الآن لا أعرف ماذا أفعل

بدم تلك الغصون.

بقليل من الحطب المتبقي في قلبي

أشعل سيجارة

وأرى في دخانها رفاقي

الذين ماتوا سكارى على الطرقات

الذين عبروا النهر بلحظة واقتادوا اليباس في تجوالهم

كي يكون لهم رفيق

الذين نخزوا في عروقهم أخيلةً علَّ الدم الضجر في

شرايينهم لا يبقى وحيداً في الليل الطويل

رفاقي

الذين في عيونهم طرقات

وقطارات

لا تتوقف في محطة

الذين تركوا المفاتيح في الداخل وصفقوا الباب ومشوا

وفي بحار نظراتهم وُلدت أسماك غريبة

وصنَّارات

رموها

واصطادوا عيونهم.

من الحطب المتبقي من غابات ماضٍ بعيد

أُشعل سيجارة

وأحاول أن أختبئ تحت دخانها

وأخبئ معي موتي لا يُحصون

تحت دخان سيجارة أخبئ موتي وأخبئ أحياء كي لا

يموتوا

أحاول أن أطرده الموت

بدخان.

بالحطب المتبقي

بالدخان المتبقي

أحبي ذكري شجر وناس

تعانقوا

وصاروا دخاناً.



رَأَيْتُ أَيْضاً

أَيْضاً رَأَيْتُ شَجْراً تُضْرِبُهُ الرِّيحُ وَيَسْقُطُ

شَجْراً فِي العُرُوقِ

شَجْراً فِي الدَّمِ.

رَأَيْتُ أَصَابِعَ تُحَاوِلُ أَنْ تُصَيِّرَ غُصُوناً

وَتَهْوِي

وَعَيُوناً تُرِيدُ أَنْ تُصَيِّرَ ثَمَاراً

لِلْعَابِرِينَ وَلِلطَّيُورِ

وَرَأَيْتُ وَرْقَةً

تَنَامُ

فِي الزَّوَايِةِ.

□□

تلك المسافة

هل تتذكرون

تلك المسافة الطويلة التي مشيناها

كي نقعد على حجر؟

المسافة الطويلة كي نطرد

الذئبَ التي تأكل الخراف في قلوبنا وكي

نبقى أبرياء من دم الأرض

ودم المسافة؟

هل تتذكرون العصافير

التي أردنا ذات يوم أن تكون بيننا وبينها قربى

فزقنا

وانهمر الرصاص علينا؟

تلك المسافة

تلك المسافة الطويلة نحو خروف

نحو عصفور

نحو حجر.

□□

لَا تَأْخُذِ الْخَيْلَ إِلَيْهِ وَلَا الْخِيَالَ

أَعِدِ الْمَاءَ إِلَى النَّبْعِ وَلَا تُزْعِجِ الْغَيْمَ

وَلَا تُصَلِّ، لَا تُثَقِّلِ الْمَوْتَى

دَعُهُمْ فِي تَرَابِهِمْ يَسْتَرِيحُونَ

وَإِنْ أَنْهَمِرَ مَطَرٌ فَخَفِّفْ مِنْ لِهَاتِكَ

لِهَاتِكَ يَصْعَدُ غَيْمًا إِلَى الْفِضَاءِ وَيَمْطُرُ

وَالْمَطَرُ يُوْحِلُ التَّرَابَ

وَيَزْعِجُ الْمَوْتَى.

أعد الماء إلى النبع ولا تأخذ الخيل إليه ولا التخيُّل ولا

الخيال

النبع جرّة مكسورة

لا ماء فيها

فاذهب بلا ماء ولا خيل ولا خيال.

الحكاية أن لا حكاية

تلك التي قالها القبطان كانت خرافة

كي يسلي المسافرين في المحيط المديد

والحكاية الأخرى كانت خرافة أيضاً

كي يسلي الذين يغرقون.

الحكاية أن لا أحد في البستان

ولا أحد في الخيمة

ومن كان ينام ويزرع كان خيالاً

لا خيمة ولا بستان لكن قيل ذلك

كي يظنّ الشجر أن له ظلاً

ويظنّ التراب

أنّه أمّ.

الحكاية أن لا أمّ

ولا قبطان ولا مركب ولا ظلّ

ولا حكاية.

□□

رفيقان

رأى وجهه في النهر وظنَّ نفسه ماءً

وجرى

وجرت معه ورقة يابسة.

رفيقان

واحدٌ يسافر في النظرة

وواحد يسافر في العمى ويسألان

هل الماء لحمٌ؟ هل الماء شجرة؟

رفيقان

وجهٌ ذائبٌ وورقةٌ يابسة

يعلوان معاً ويهبطان معاً ويرتطمان

بصخور تظنُّ الورقةُ أنها شجر

ويظنُّ هو أنها عظامه.

□□

يا جاك كيرواك

كثير من الأخطاء في الإشارات والأسماء على الطريق يا

جاك كيرواك

الأسهم المشيرة إلى أمكنة

توصل إلى أمكنة أخرى

واليافطات المكتوب عليها ينابيع

صحارى.

ماذا جرى يا جاك كي أرى السهل حوتاً يريد أن

يبتلعني

والفراشة جداراً؟

وهل السنونوة التي سقطت ميتةً أمامي

كانت تعبر كي ترسم الطريق أم كي

تمحو العبور؟

يا جاك، يا جاك، إنزع اليافطات عن الطريق

إلغِ الينابيع والغابات والأمكنة

دلّني فقط إلى الممرّ الذي بلا إشارات ولا أسماء

أريد أن أعبر.



كي تشرب الذبابة

وضع نقطة ماء في صحن

كي تشرب الذبابة

وسلم نفسه للريح كي تأخذه الفراشات.

سلم نفسه للريح

فالتقطته الذبابة

وعاد إلى المكان الذي طار منه.

□□

كي يقول

مئات الصفحات كي يقول العشيبة ماتت

كي يقول القمر نام،

مئات الصفحات كي يقول حُذِ الشمعة

إنها في الزاوية هناك، مطفأة

أشعلها بأنفاسك إن شئتَ أو أبقها مطفأة وإن شئتَ

أرمها،

مئات الصفحات كي يقول عود ثقاب

كي يقول اشتعلُ

كي يُخفض الدرجة قليلاً كي يستطيع

أن ينزل،

مئات الصفحات كي يقول رأى نملة

كي يقول رأى خشبة

وكي يوهم نفسه أنه أنقذ الغريق،

مئات الصفحات كي يقول

غرقتُ ولا أرى شيئاً

كي يتسامر مع طحلب، مع فراغ

كي يرى السفن وهي تهوي

والغرقى يصرخون

وكي يلفَّ سيجارة وهو ينظر إلى الأمواج،

مئات الصفحات كي يعتذر من صرصار

وطأه ذات يوم بقدمه

كي يقول للعريشة أمام بابهِ شكراً

وشكراً للكلب الذي كان

يلوّح له بذنبه.

مئات الصفحات

مئات الصفحات

كي يقول كلمة

ولا يقولها.

□□

لَوْحًا بِالْحَطْبَةِ

هذه الحقول المحروقة كانت حقولكم

انظروا

وانبشوا في الرماد

قد تعثرون على وجوه كانت لكم.

الخطبة هناك

يدُ مزارعٍ مكسورة

والفحمة

حدقة عين

انظروا بالفحمة لُوِّحوا بالخطبة

واجعلوا الورقة اليابسة لساناً ونادوا

فربّما شبحٌ عابرٌ هناك

يرى في رماد سيجارته مزارعي تبغ

ويطفئها.

□□

الشوارع تعرفه من حذائه

بين الإسفلت وبينه

عمرٌ من المشي

لديه أسمال

وحذاء

قديمٌ لكنّه صار أليفاً مع قدميه

والشوارع لا تعرفه

إلاّ به.



لدي حلم

لدي حلم يا مارتن لوثر كينغ

حلم صغير

أن أعيد إلى الأرملة فلسها

وحلم

أن أقعد مع الكسيح

وأن يمرَّ هواء لطيف

بين قدميه المشلولتين والبلاطة التي يقعد عليها.



كان جميلاً

كان جميلاً منكم أن تحيُّوهم وهم يشدُّون الحبال

كي يربطوا شرايينهم بالشجر

أن تنظروا إليهم على الأقل

كي تروا عروق التعب

وتعرفوا كيف

تأتي الثمار إلى موائدكم.

كان جميلاً أن يكون بينكم وبينهم نظرة

كي تروا، على الأقل، الدمعَ من بعيد

كي تعرفوا

ماذا يفعل الدمع في التراب

ماذا يفعل الدمع في الأرض.

□□

نملٌ على الجدار^{٢٤}

حجرٌ آخر في الجدار؟

بل أحجار

أيُّها "الطوفان الزهري"

لكن لا يزال نملٌ

يتسلق عليها.

□□

المروحة لا تدور

المروحة لا تدور يا ألن غينسبرغ

كان ذاك هواءً يدور في رأسي

حلّم هواء

لا يحركّ المروحة.

□□

إلى سركون بولص وبسأم حجار

اعطني رداءك يا سركون

بردتُ

أدفنني قليلاً بترابك

وأنعشْ هذا التراب يا بسأم

ادلِقْ عليه

كأسك.

على المحطة قطارٌ بعد، اصعدا قبل أن يمضي

نذهب معاً في نزهة

نرى الغابات، نرى البطّ في البحيرات، نرى البيوت

وكيف

تطويها المسافات

وتطوي الساكنين فيها

لا يزال قطارٌ بعد

وبعده تقفل المحطة

اصعدا

فإن مضي هذا القطار

أين نقضي هذه الليلة؟

إنَّه القطار الأخير، اصعدا

قد نذهب في نزهة

قد نرى ذاك النبع الذي حلمنا به طويلاً

ينبثق من المياه الجوفية لأحلامنا

اصعدُ يا سركون

قد يمرُّ هذا القطار في مدينتك

اصعدُ يا بسَّام

قد نرى مروة.



دُلُّ النُّقْطَةَ إِلَى الطَّرِيقِ

خُذْهَا

خُذْهَا رَجَاءً وَارْمِهَا فِي النُّهْرِ

هَذِهِ النُّقْطَةُ الَّتِي ضَيَّعْتَ طَرِيقَهَا

وَحَطَّتْ عَلَى كَتْفِي.

خُذْهَا

سَيُفْتَقِدُهَا النُّهْرُ

سَيَكُونُ الْبَحْرُ نَاقِصًا مِنْ دُونِهَا

خُذْهَا

الشَّجَرُ أَوْلَى بِهَا مِنِّي

العُشْبُ أَوْلَى

وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ عَصْفُورٌ

يَبْحَثُ الْآنَ

عَنْ نَقْطَةِ مَاءٍ.

□□

الإشارة

بشبهه يدٍ لَوَّحَ

لإشارة تلوّح له من بعيد

ومضى

صافقاً وراءه حياته

كبابٍ مخلوع.

ترك الأهل والأصدقاء ومشى

ترك الحديقة، النعناع، الحبة

النبته الصغيرة التي كانت

حين تسمع وقع خطاه تبتسم.

ترك الباب مخلوعاً

ومشى

نحو الإشارة

الأخيرة

للدخان.

□□

عرفتُ كيفُ يحنُّ الغصنُ

عرفتُ كيفُ الشجرةُ تحنُّ

إلى غصنها المتخشَّبِ

لكن عرفتُ أيضاً

كيفُ يحنُّ الغصنُ

إلى الخشبة.



الذي عبر اسمه

كتبَ اسمه على الحائط كي يتذكَّر العابرون أنه مرَّ من

هنا

كتبَ اسمه وذهب

وحيث عاد

حاول عبثاً أن يتذكَّر

من هو هذا الاسم المكتوب على الحائط.

□□

مكان الورقة

قعد طويلاً هناك

تحت الشجرة

وكان يظنُّ نفسه غابة.

حطَّت عصافير كثيرة

وطيور غريبة

على غصونه

وعلى ترابه مشت سحليات ، ومشى نمل ، واستلقى
ناس ، وغفا عشب.

قعد تحت الشجرة وظنَّ نفسه غابة

في الربيع يُزهر وفي الشتاء يرتجف

وفي الخريف

سقطت ورقة

وقعدت مكانه.

□□

غياب

ظنَّ أَنَّهُ هو ذاك الماشي في الشارع

وقفَ وناداه : هاي، أريد أن أقول شيئاً

لكنه لم يلتفت

وغاب.

ظنَّ نفسه هو ذاك الجالس في الحديقة

وقفَ ومشى إليه

ومشى الجالس في الحديقة

وغاب.

ظنَّ أنَّ المارَّة كلَّهم هو

وصاح بهم : هاي ، أريد أن أقول شيئاً

لكنَّهم غابوا كلُّهم

وغاب هو

ولم يقلَّ أيَّ شيءٍ.



يَدُ عَلِيٍّ الْحَافَّةُ

يَدُ عَلِيٍّ الْحَافَّةُ

وَيَدُ فِي الْفِضَاءِ

وَيَغْنِي

رَاسِمًا بِلِهَائِهِ الْقَبْرِ الَّذِي يَحِبُّ أَنْ يَنَامَ فِيهِ.

يغني للهواء الذي رافقه على الطرقات
للجعة الجائعة التي نظرت إليه ورمى لها لقمة

وللبحيرة

في ذاك المساء

والأسماك التي تسبح فيها.

يضع يداً على الحافة ويدا في الفضاء ويغني

لرمل

دفنت فيه الحياة كل موتها

يغني لمعول

حفر طويلاً في ذاك الرمل علّه

يجد موتى لا يزالون يتنفسون

يغني لصحراء

يغني لموتى.

يدُ على الحافّة ويدُ في الفضاء وغناء

وقبرٌ من لهاث

تبدّده الريح.



يمشي يمشي

يمشي باحثاً عن بحر

يرقص موجُه مع السمك

عن صحراء

يغني رملها مع الريح

باحثاً عن البحر الأول والصحراء الأولى

وعن حقول

أوراق أشجارها عيون مزارعين

وعيون فلاحها أوراق شجر

وعن عين

هي عيون الجميع.

يَمشي يَمشي ولا يَري بحرًا

لا يَسمع غناء

لا يَري رقصًا

لا حَقولًا ولا مزارعين

يَمشي

يَمشي

بلا عَين

ولا قَدم

ولا مَكان.



بالكاد تتسع لعين شخص ولهائه

الهواء من رثتيه

والماء من عينييه

ما حاجته إلى الخارج؟

من لهائه يأتي الهواء ومن دمعه الماء

وإن أراد طعاماً

في حديقة باله خضار وثمار.

أقفل الباب وقعد

مشيحاً بوجهه عن خيالات ناس

تعبر أمام بيته

عن خيالات عصافير

تدقُّ على نافذته

ماذا سيطعم العصافير وإلى أين سيدعو الناس؟

إن أراد عصفور قمحاً من أين يأتي به؟

وإن دخل ناس

أين يجلسون؟

غرفة صغيرة ومقفلة

بالكاد تتسع لعين شخص

ولهائه.

□□

في مكانه

رصف حجراً فوق حجر تاركاً فراغاً

كي تتنفس الأحجار

في الحجر روح، قال

وقد تكون بين حجر وحجر

عشبة تريد أن تنبت.

نظر إلى الشجرة وقال

قد تكون روحٌ في المسافة بينه وبين الشجرة

والنظرة قد تعيقها

فأغمض عينيه.

مشى

عائداً

وقال

في الإسفلت روحٌ أيضاً

رفع قدمه عن الإسفلت

وبقي في مكانه.

□□

الجهة تحنيه، الجهات ترفعه

ضربته الريح من اليمين

فانحنى يساراً

ضربته الريح من اليسار

فانحنى يميناً

ضربته من الورااء فانحنى إلى الأمام

ضربته من الأمام فانحنى إلى الورااء

وحين ضربته من كل الجهات

ارتفع.

□□

الطريق إلى البيت

هذه هي الدرب التي توصل إلى بيتي ، قال

ومشى

يتبين خطواته من قمر بعيد

يتبين دربه من ذكرى

وأحياناً يشمُّ رائحة زهور

كانت على جانبي الطريق إلى بيته.

قال هذه هي الدرب ومشى
حين يظهر القمر يخطو خطوة
وحين يحجبه الغيم يضيع ،
لكن هذه هي الدرب ، قال
ورائحة الزهور التي في ذاكرتي ستدلُّني

ومشى

ومشى

ومشى .

□□

حقول في الرأس

لديه تبغ وخمر لهذه الليلة

فيا للسلام في قلبه !

صبّ كأساً ولفّ سيجارة وراح

إلى الحقول

يزرع تبغاً ويقطرّ عنباً

ويوزّع لضيوف

يدقّون على بابه.

لديه تبغ وخمر ولا يحتاج إلى أكثر

كي يشعر بسلام

ويخترع حقولاً

ويُحضر ضيوفاً.



يده

يده تذرّيها الريح إن علّت

وإن انخفضت يخفيها التراب

يد عالقة في جسد

عليه أن يلحق بها

ولا يعرف إلى أين تذهب.



للريح أطفال أيضاً

للريح أطفال أيضاً

تشرذمهم على امتداد عبورها

وتتركهم وحيدين.

للريح أطفال على الطرقات

هلاميون، عراة ويتامى

يلوِّحون للمارة كي يروهم

علَّ نظرات العابرين تكسو هباءهم

فتصير لهم أجساد

ويروون.



أخفِضِ الصَّوْتِ

أخفِضِ الصَّوْتِ أَرْجُوكُ

أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ السَّكُونَ مَاذَا يَقُولُ

رَبِّمَا يَقُولُ : تَعَالَى

وَأُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَهُ .

□□

هل رأيت السنونوة ؟

هل رأيت السنونوة ؟

أظنُّها ستعبر من هنا

على جسدي نبتَ ريش يشبهها

نبتت سننوات تريد رقيقاً

ولا تحطُّ على غصن حين تطير.

□□

من أخذ النظرة ؟

من أخذ النظرة التي تركتها أمام الباب قبل أن أنام؟

النظرة التي

طوال الليل

حاولت أن أخلق لها عيناً.

نظرة بلا عين أتت
ووقفتُ على بابي
في قلبي أحداق كثيرة لعيون
نبشتُها حدقة حدقة
ولم أجد عيناً لهذه النظرة.

نظرة غريبة أتت في الليل
ونامت أمام الباب
وفي الفجر
حين فتحتُ عينيَّ
غابت.

□□

ذكري ماء

بين الماء وبينه ذكرى نهر

ذكري وديان كثيرة

وبحرٍ شاسع.

بين الماء وبينه ذكرى حقول

ذكري شجر وعشب وتراب

وفلاحين

ترتطم معاولهم

في قلبه.

بينه وبين الماء سطوح من تراب

وقرويون يحدلون السطوح

بينه وبين الماء

سطوح بيوت بعيدة.

بين الماء وبينه سماء

هطلت فجأة

وتركت في قلبه بحاراً

تركت سفناً، أسماكاً في شباك صيادين

تركت أسماكاً صغيرة ميّنة

تعود إلى الشاطيء.



لا ترم شيئاً في القمامة

ليست ثمرة يابسة هذه التي رميتها في القمامة يا وديع

بل هي قلب

قلب كان معلقاً في شجرة

تأتي العصافير وتنقذ منه

يأتي النحل ويمتصُّ رحيقه

يسرح عليه النمل

حتى يبس

وسقط على التراب.

لا ترم شيئاً في القمامة يا وديع
قد يكون ما ترميه رقيقاً يريد أن يبقى معك
قد يكون فماً يريد التحدُّث إليك
لا ترم شيئاً
قد يكون ما ترميه
قلبك.



ضجيج

في قلبه ضجيج

كأنَّ مسافرين يحتفلون في حافلة

في قلبه

ولا يعرف حافلة ولا مسافرين

ولا يدري

أنَّ في قلبه طربقاً.

ضجيجٌ ضجيج

كأنَّ شاحنة تتسلقَّ جبلاً

في قلبه.



خطوة واحدة

خطوة واحدة بعد، قال

لأرى ماذا وراء هذا الجبل

خطوة واحدة تكفي

لأنني تقريباً وصلتُ

تقريباً سأرى.

خطوة واحدة، قال
كي أنتهي من مشي سنوات
من رغبة سنوات
في رؤية ماذا وراء جبل.

خطوة واحدة
واحدة فقط
كان عليه أن يمشيها بعد
كي يرى.

□□

للدم شتاء أيضاً

للدم شتاء أيضاً
والأ من أين كلُّ هذا النهر؟
للدم غيوم ملبّدة ومطر
وجُرف
جُرف كاسح في العروق
وعلى الأرض.

ضفافٌ كانت هنا
ومقاعد على الضفاف
وعلى الشجرة عصفور كان يغني
وعجوز على مقعد
كان يصغي إليه.

□□

غرق

دَلَقَ مَاءً

مَاءً كَثِيرًا

وغرق في الماء.

ظَنَّ رُوحَهُ قِمَاشَةً

وأراد أن يغسلها.



مرة قال

مرة قال: ليس للمساء إخوة

ومشى كثيراً

في الشوارع، في الدروب المقفرة، في الغابات

كي يجلب أخاً للمساء.

قال المساءُ بلا أخ ومشى

محدّقاً في المارّة

محدّقاً في الشجر

محدّقاً في التراب

محدّقاً في المساء الذي

نام وحيداً.

□□

حجر

لا يعرف كيف رُصفت كلُّ هذه البلدان في قلبه
وليس لديه غير بيت صغير
وحجر.

من بلد إلى بلد
من ریح إلى ریح
ولا يعرف كيف في هذا الهبوب
لا تزال عيناه تحملان
حجرًا.

□□

أريد لحظة بعد

سمعتُه

نعم سمعتُه هذا الجرس يدقُّ في رأسي فأوقفه
أريد أن أنام.

أوقف الجرس أرجوك

أريد لحظة بعد

كي أودع الذي زارني في الحلم
وكي أشكر لحافي.

□□

يافطات

يافطات كثيرة على الطرقات

يافطات تدلُّ إلى مدن

يافطات تدلُّ إلى شوارع

يافطات تدلُّ إلى مصانع ، إلى مؤسسات ، إلى دكاكين ،

إلى بيوت...

يافطات كثيرة ملأى بأسماء

ويمشي

باحثاً عن يافطة

فارغة.





ماء

ماء كثير

يدفق في سراييني

ولا مركب.

في قلبي بحر

وجمهور من الغرقى

